﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾

[الأنعام: 129]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

وِلايـةُ الظّالمينَ بعضِهم بَعضًا بِالـدّوافعِ الّتي يَلتَئِمونَ حَوْلَها

لَمّا بيّنَ الحقُّ ﷻ في الآيةِ السّابقةِ مِنْ وِلايةِ الإنسِ للجنِّ، وأنَّ هؤلاءِ قدْ تَسلَّطوا على الإنسِ واستمتعَ بَعضُهمْ ببَعضٍ؛ أخبرَ هنا أنَّ هذا دأْبُهُ معَ الظّالمينَ؛ فهوَ يُوَلّي بعضَهُم بَعضًا ويُسلِّطُ بَعضَهمْ على بَعضٍ؛ بما اجْتمَعوا عليهِ مِنَ الأسبابِ المؤدّيةِ إلى الظُّلمِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَكْسِبُونَ﴾: فعلٌ دالٌّ على الحالِ والاستقبالِ مُسنَدٌ إلى وَاوِ الجماعةِ؛ الجَذرُ اللُّغويُّ منهُ (كسب)، والأصلُ فيهِ دَلالتُهُ "على ابتغاءٍ وطلَبٍ وإصابةٍ، فالكسبُ مِنْ ذلكَ"، والكَسْبُ التماسُ الرِّزقِ ونحوِه، ويكونُ للإنسانِ نفسِهِ ولِغَيرِهِ، وعُمومُ معناهُ في جمعِ الشَّيءِ وتَحصيلِهِ شَيئًا فَشيئًا معَ الجُهدِ والمشَقّةِ، ومِنْ معانيهِ أيضًا أنْ يَتحَرّى المرءُ اجْتلابَ النَّفعِ وتحصيلَهُ، وربّما ظنَّ الإنسانُ أنّهُ يجتلبُ مَنفعَةً ثُمَّ اسْتجلبَ لَهُ مَضَرَّةً؛ والكَسبُ يُستعمَلُ في الخيرِ والشّرِّ، والسّياقُ يحدِّدُ ذلكَ إلّا أنَّ الغالبَ عَليه كَونُهُ في الخيرِ، والاكتسابُ في الشَّرِّ[2]. ومعنى ﴿يَكْسِبُونَ﴾ في الآيةِ: أي: بما يَقترِفونَ ويُحَصِّلونَ مِنَ الظُّلمِ والبَغْيِ والشَّرّ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يخبرُ الحقُّ ﷻ المعتبِرينَ مِنْ خَلْقِه أنّهُ كما جَعلَنَا بعضًا مِنَ الجنِّ والإنسِ أولياءَ بعضٍ فاستمتَعوا بينَهمْ، كذلكَ نَكِلُ الظّالمينَ بعضَهُم

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 7/270.

(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (كسب).

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/305.

إلى بعضٍ، أو نجعلُ بعضَهُم يَتولّى بعضًا غِوايةً ودعوةً إلى الشَّرّ وتَنفيرًا منَ الخيرِ، أو نجعلُهُم أولياءَ بعضٍ وقُرَناءَهُم في العذابِ كما كانوا في الدُّنيا بِما كانُوا يَكْسِبُونَ مِنَ الكُفرِ والمعاصي، وسَيِّئِ الأفعالِ ورَديءِ الخصالِ[1].

سُـنَّـةُ الـلـهِ في تَوْلِيةِ كلِّ ظالمٍ بِمِثْلِهِ يُرَغِّبُهُ في الـشَّـرِّ ويَـصُـدُّهُ عَنِ الخَيرِ

والمقصودُ منَ الآيةِ العِظةُ والاعتبارُ والتَّحذيرُ مِنْ أنْ يَغترَّ النّاسُ بِولايةِ الظّالمينَ، وأنّ مآلَ هذا الفعلِ وعاقبتَهُ مِنْ سُنَنِهِ تعالى في العالَمين[2]. وفيها تهديدٌ لِلظّالمِ؛ إنْ لم يمتنِعْ مِنْ ظُلمِهِ سلَّطَ اللّهُ عَليه ظالمًا آخرَ. ويَدخُلُ في الآيةِ جميعُ مَنْ يَظلِمُ نفْسَهُ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بيانُ الوَصْلِ في الآيةِ:

لَمّا تبيّنَ من قولِه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ أنّه تذييلٌ مقرِّرٌ لما سبقَ ذكرُهُ مِنْ شَأنِ المشيئةِ، فإنّ قولَه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هوَ مِنْ تمامِ التَّذييلِ، والواوُ حاليَّةٌ[4]، أي: والحالُ أنّنا نُولّي بعضَ الظّالمينَ بعضًا.

الآيـةُ تَـتْـمِـيـمٌ لِجُملةِ الاعْتِراضِ وتـذيـيـلٌ مُـقـرِّرٌ لمضْمُونِها

ولَمّا كانَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ جملةً معترِضةً بينَ الجملِ المقولةِ لأولياءِ الجنِّ في الحشرِ، فإنَّ قولَه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تَتميمٌ لذلكَ الاعتراضِ[5] المبنيِّ على أنَّ خلودَهُم في النّارِ تَقتضيهُ حِكمتُهُ وعِلمُهُ تعالى.

دَلالةُ اسمِ الإشارةِ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾:

اسمُ الإشارةِ في قولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ جاءَ مُذكَّرًا؛ لأنَّ التَّوليَةَ المأخوذةَ منَ الفعلِ ﴿نُوَلِّي﴾ مُذكَّرٌ، وتأنيثُها غَيرُ

(1) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/182.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ75.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 7/85.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ73.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ73.

حَقيقيّ، والمعنى: أنّنا مثلَما ولَّينا على نحوِ مُوالاةِ شياطينِ الإنسِ لِلجنِّ؛ فالجامعُ بينَهُمُ الخُبثُ والشَّرُّ، كذلكَ نفعلُ بينَ الظّالمينَ؛ بعضِهِمْ معَ بَعضٍ؛ وهؤلاءِ الجامعُ بينَهُمُ الظُّلمُ والعُدوانُ[1].

جَـزاءُ الظّالمينَ هـو هـو جَـزاءُ مُوالاةِ الشّياطينِ بعضِهم لبعضٍ

بَلاغةُ التَّشْبيهِ في الآيةِ:

التَّشبيهُ بالكافِ يدُلُّ على أنَّ شَيئًا شُبِّهَ بشَيءٍ، أي: مِثلُ ذلكَ التَّولّي، فالتَّشبيهُ المستفادُ منَ الكافِ يفيدُ تشبيهَ الصِّفاتِ بعضِها بِبَعضٍ، فإنَّ حالَ النّاسِ في تأثيرِ بعضِهِمْ ببعضٍ بالفسادِ يشبهُ حالَ شياطينِ الجنِّ أو شياطينِ الإنسِ بإغراءِ بَعضِهِم بعضًا بالفسادِ؛ ويَحسَبُ هؤلاءِ وأولئكَ أنّهُم مُستمتعونَ[2].

لمَّـا شـابَـهـتِ الـصِّـفـاتُ الصِّفاتِ أُلحِقَتِ الذَّواتُ بالذَّواتِ

نُكتةُ تَقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾:

نُكتةُ تقديمِ حَرفِ الجرِّ ومجرورِه ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ على مُتَعَلّقِهِ وهوَ الفعلُ ﴿نُوَلِّي﴾، هيَ تشويقُ السّامعِ إلى مَا بعدَ التَّشبيهِ، وهوَ مِنْ فُنونِ الخطابِ القرآنيِّ البليغِ؛ فإنَّ (كذلكَ) فيها تمهيدٌ لِما سَيُقالُ؛ وهوَ المشبَّهُ مِن حالِ الظّالمينَ الَّذينَ ولّى الحقُّ ﷻ بعضَهمْ بعضًا، كما فعلَ معَ الشَّياطينِ وأوليائِهِم منَ الإنسِ؛ وهُمُ المشبَّهُ بِه.

تَشويقُ السّامعِ والتّـمـهـيـدُ لِما سيُلقَى إليهِ مِنْ كَلامٍ

تَوجيهُ تَعْديةِ فعْلِ التَّولِيةِ:

الفعلُ ﴿نُوَلِّي﴾ في قَولِه: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يأتي مِنَ الولاءِ ومِنَ الولايةِ، فكِلاهُما يكونُ فعلُهُ المُتَعدّي (ولّى) أي: جعلَ وليًّا وهوَ مِن بابِ (أعْطى وكَسا)[3] الَّذي يَتعدّى إلى مفعولَين، فمعنى "نُولِّي بعضَ الظَّالمينَ بعضًا: نجعلُ بعضَهُم أولياءَ بعضٍ"[4] أي: نُصيِّرُ بعضَهم أولياءَ بعضٍ.

أي: نجعـلُ بعضَهم أولياءَ بعضٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ73، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 13/150.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2669 - 2670.
(3) نوعٌ منَ الأفعالِ يتعدّى إلى مفعولِين ليسَ أصلُهما مبتدأً وخبَرًا، ولكَ أنْ تقتصرَ على أحدِهِما. يُنظر: ابن السّرّاج، الأصول في النحو: 2/282.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/أ73.

عِلّةُ جَعْلِ الفريقَينِ ظَالِمِينَ:

مَـنْ تـولَّى قـومًا صَـارَ مِـنـهُـم، والظُّلمُ المتَعَزِّزُ يُـؤدِّي إلى ظُلْمٍ عامٍّ

في قَولِهِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا﴾ يقرِّرُ الحقُّ ﷻ أنّ مآلَ مُوالاةِ الظّالمينَ الظُّلمُ، فجعلَ الفريقَينِ ظَالِمِينَ؛ لأنَّ مَنْ يتولّى قومًا فإنّهُ يكونُ مِنهمْ[1]؛ لقولِهِ تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المَائِدَة: 51]. ومِنْ ذلكَ أنَّ العبادَ إذا كَثُرَ ظُلمُهُم وفَسادُهُم، ومنْعُهُمُ الحقوقَ الواجِبةَ، ولَّى اللّهُ عَلَيهِم ظَلَمَةً يَسومونَهُم سوءَ العذابِ، ويأخذونَ مِنهُم بِالظُّلمِ والجَوْرِ أضعافَ ما مَنَعوا مِنْ حُقوقِ اللّهِ، وحقوقِ عِبادِهِ، على وجهٍ غَيرِ مأجورينَ فيهِ ولا مُحتسِبينَ. كما أنَّ العبادَ إذا صَلَحوا واسْتقاموا، أصلحَ اللّهُ رُعاتَهم، وجعلَهُم أئمَّةَ عَدْلٍ وإنصافٍ، لا وُلاةَ ظُلمٍ واعتِسافٍ[2].

معنَى الباءِ في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾:

مَـصـيرُهُـمْ مـآلُ أعمالِهِم

الباءُ في قولِهِ: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ دالَّةٌ على السَّببيَّةِ[3]؛ فهذا مَصيرُهُمْ وجزاؤهُمْ بسببِ ما اقْترَفوا منَ الأعمالِ الخبيثةِ والكُفرِ والعِصيانِ[4].

نُكتَةُ التَّعبيرِ بـ(ما) في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾:

عِـلَّـةُ التَّـولـيةِ مـا كـانـوا يَكْسِبونَهُ في حـيـاتِـهِـمُ الدُّنيا

تَحتملُ (ما) في قولِهِ تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ أنْ تكونَ موصولةً بمعنى الَّذي، وعَبَّرَ بـ (ما) تحديدًا لأنَّها تدُلُّ عَلى العُموم وهوَ مناسِبٌ لِلكَسْبِ، فيما تدُلُّ (الَّذي) على التَّنصيصِ، فأرادَ كلَّ ما يَكسِبونَهُ، وتَحتملُ أنْ تكونَ مصدريَّةً؛ فتُؤَوَّلُ معَ فعلِ الكَسْبِ على المصدريَّةِ، عَلى تَقديرِ كسبِهِمْ في حياتِهِمُ الدُّنيا[5].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8أ/73 - 74.
(2) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 144.
(3) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: 2/8.
(4) الزّمخشري، الكشّاف: 2/66.
(5) مجموعة مؤلّفين، إعراب القرآن الكريم: 1/648.

دَلالةُ فعْلِ الكوْنِ الماضِي:

استمرارُ العَمَلِ يُـورِّث الثَّبـاتَ عليه

عبَّرَ في قولِه تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ بفعل الكون الماضي؛ للدَّلالةِ على أنَّ أعمالَهم الكسبيَّة كانت دَيْدَنهم، وكانوا مستمرِّين فيها، لا ينقطعُون عنها؛ فجازاهُمُ اللهُ تعالى بأنْ ولَّى بعضَهم بعضًا بما كَسَبوا منَ الأعمالِ السَّيئةِ والخِلالِ الرَّديئةِ.

بَلاغةُ التَّعبيرِ عنِ الكَسْبِ بالمضارِعِ:

كانَ كسْبُهم منَ الكفرِ والمعاصِي مُتَجدِّدًا مُسْتمِرًّا

التّعبيرُ عنِ الكَسبِ بالفعلِ المضارعِ في قولِه: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ دالٌّ عَلى أنَّهم كانوا "مُستمرّينَ عَلى كَسبِهِ منَ الكُفرِ والمعاصي"[1]، فالفعلُ المضارعُ فيهِ إيماءٌ إلى أنَّ كَسْبَهم كانَ مُتَجدِّدًا مُستمِرًّا فجُوزُوا بهذا الجزاءِ.

إيثارُ لفْظِ الكَسْبِ عَلى غَيرِهِ:

الكَسْبُ هو ما يُبَّتُ وِلايةَ بَعضِ النّاسِ بعضًا

آثرَ لفظَ الكسبِ في الآيةِ كيْ يُحقِّقَ المشاكَلَةَ والتّناسُبَ الحقيقيَّ لا الصّوريَّ بينَ الظّالمينَ، الَّتي يُقرِّرها الكَسْبُ والعملُ في تضامٍّ بعضِهمْ إلى بعضٍ "فالمدارُ في الولايةِ بينَ النَّاسِ عَلى المشاكَلةِ النَّفسيَّةِ الّتي قرَّرهَا الكسبُ والعملُ، لا الصُّوريّةِ أو اللَّفظيَّةِ الّتي لَم يُقرّرِ الكَسْبُ معناهَا؛ ولذلكَ قالَ: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾، ولمْ يقلْ: بما كانُوا يُلقَّبونَ"[2] أي: يُلقَّبونَ بما ليسَ فيهِم، فكلُّ جامعةٍ بينَ النّاسِ لا يؤيِّدُها الكسبُ والعملُ تضعُفُ حتّى تكونَ صوريَّةً لفظيَّةً.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(الكَسْبُ)، و(النَّيْلُ)، و(الرِّبحُ)، و(الجَنْيُ):

وردَ فعلُ الكسبِ في قولِه: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ وعامَّةُ معناهُ في الطَّلَبِ والالتماسِ والاجتلابِ والتَّحصيلِ، وقد مرَّ في شرحِ المفرداتِ؛ والكسبُ يكونُ لِلنَّفسِ ولغيرِها، خلافَ الاكْتِسابِ؛ إذ يكونُ مُختصًّا

(1) القاسمي، محاسن التّأويل: 4/492.
(2) رضا، تفسير المنار: 8/91.

الكَسْبُ طَلَبٌ وتَحصيلٌ، والنَّيْلُ بلوغٌ ووصولٌ، والرِّبحُ مُختصٌّ بالبيوعِ، والجَنْيُ للثَّمرِ عندَ اليُنوعِ

بالنّفسِ لا يَتعدّاها إلى غَيرِها؛ وفيهِ نَظرٌ، أمّا النّيْلُ فالأصلُ فيه الوصولُ إلى الشَّيءِ وبلوغُهُ، وإذا أُطلِقَ كانَ بمعنى النَّفعِ، ويقعُ عَلى الشَّرِّ بالتّقييدِ[1]، ويَبعدُ أن يكونَ مناسِبًا في مَوضِعِ ﴿يَكْسِبُونَ﴾ بُعدًا كبيرًا لِتبايُنِ المعنَيينِ ارتفاقًا معَ سياقِ الآيةِ؛ فالموضِعُ موضِعُ جزاءٍ وعِقابٍ وليس مَوضِعَ نَفعٍ ومَصلحةٍ ولا سيّما معَ إطلاقِهِ، أمّا الرِّبحُ فهو ما كانَ مُختصًّا بالتّجارةِ والبَيعِ والشِّراءِ[2]، ونقيضُهُ الخسارةُ، والجَنيُ مُختَصٌّ بِقَطفِ الثِّمارِ، وذُكرَ أيضًا جنى النَّخلِ، ومنهُ قولُهُم: جنى ثمرَ النَّخلِ حتّى قيلَ: إنَّه مُختصٌّ بالنّخلِ وليسَ كذلكَ؛ لاستعمالِهِ مجازًا في قَولِهم: فُلانٌ يَجتني ثمرَ الفؤادِ[3]، والأعمُّ الأغلبُ فيهِ مُتعلِّقٌ بجنيِ الثَّمرِ حقيقةً كانَ أمْ مَجازًا.

(1) الكفوي، الكليات، ص: 910.
(2) الزمخشري، أساس البلاغة: (ربح).
(3) البندنيجي، التّقفية في اللّغة، ص: 127.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 12 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-64-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 12 : سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-64-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»